

## مُرَاسلة شعرية بين الطبيب الأصفهاني وهاتف الأصفهاني:

### مناسبتها وموضوعاتها وأساليبها الشعرية

حسين مرعشي\*

أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة شيراز

تاريخ استلام البحث: ٩٣/١٢/٠٢ تاريخ قبول البحث: ٩٤/٠٩/٠٩

### الملخص

تعدّ الإخوانيات من الفنون الشعرية الشائعة في العصر الزندي. ومن أشهر نماذجها ما جرى من المساجلات الشعرية بين الطبيب الأصفهاني وهاتف الأصفهاني. احتفظ لنا تاريخ الأدب بثلاث قصائد بعثها الطبيب من شيراز ضمن رسائله المتعددة إلى هاتف؛ غير أنه لم تبقَ إلا قصيدة واحدة أرسلها هاتف إلى أستاذه الطبيب. فالمادة التي خضعت للتحليل في هذا البحث هي هذه القصيدة والقصيدة التي أنشدتها الطبيب في الرد عليها. وسوف يقوم هذا البحث في طياته على تحديد مناسبة إنشاد القصيدتين، ونطاقهما وأغراضهما وموضوعاتهما ومحاورهما. كما يدرس وسائل التعبير الشعرية فيهما. إنّ تنوع هذه الموضوعات فرض على البحث سلوك ثلاث طرق مختلفة، هي: التاريخية، والموضوعية البنيوية المعجمية، والبنيوية الشكلية. ومن أهم ما وصل إليه هذا البحث هو العجمة التي يمكن مشاهدتها في شعر هاتف الأصفهاني. ويضاف إلى ذلك أننا استطعنا في بحثنا هذا، أن نقدم، ولأول مرة، ستة وستين بيتاً لهاتف الأصفهاني عثرنا عليها في إحدى المخطوطات.

**الكلمات الرئيسية:** إيران، العصر الزندي؛ الإخوانيات؛ الطبيب الأصفهاني؛ هاتف الأصفهاني.

### المقدمة

شهدَ العَصْرُ الزنديّ (١١٦٣-١٢٠٩ق)، مثلَ عَصُورِ سبقتِهِ، هجرةً متواصلةً للفقهاء والأدباء، تمثّلت في التنقل من مدينة إلى مدينة، أو من بلد إلى بلد. وقد أدّت هذه التنقّلاتُ القسريّةُ إلى ازدهار فنّ شعريّ له جذوره التاريخيّة، وهو الإخوانيّات. وهي فنّ من الفنون الأدبيّة يصوّر العلاقات الاجتماعيّة بين الشعراء وممدوحِيهم، أو بينهم وبين أصدقاؤهم وأحبّائهم. ومن المراسلات الشعريّة الإخوانيّة العربيّة المعروفة في العَصْرِ الزنديّ ما جرى بين الطبيب الأصفهاني (١١٩١ق) وتلميذه في الطبّ والفلسفة هاتف الأصفهاني (١١٩٨ق) (مرعشي، ١٤٣٣، ١٩٨ و ١٩٩). ويُذكر أنّ هناك أشعاراً فارسيّةً تبادلها الشاعران. ونحن نرْمي، في بحثنا هذا، إلى- تتبّع الرجلين ومُساجلاتهما الشعريّة العربيّة من خلال ما وجدناه ممّا تَبَقَّى من شعرهما لإلقاء بعض الضوء على موهبتهما الشعريّة التي جمعتِ الشاعرين بعد أن أبعدهما ظروفُ الحياة عن بعضهما البعض.

### تحديد الموضوع وأهميته

احتفظ لنا تاريخ الأدب بثلاثِ قصائدٍ بعثها الطبيب الأصفهاني من شيرازَ ضمن رسائله المتعدّدة إلى هاتف. أمّا بالنسبة للقصائد التي تم إرسالها من قبل هاتف إلى الطبيب فما بقي سوى قصيدة واحدة (مرعشي، ١٤٣٣، ١٩٨ و ١٩٩). فالمادّة التي خضعتُ للتحليل في هذا البحث هي هذه القصيدة والقصيدة التي أنشدّها الطبيب في الردّ عليها، فيجدهما القارئ كاملتين ومصحّحتين في الملحقين اللذين دَبلنا بهما البحث.

وعقدنا العزمَ على دراسة القصيدتين، لأنهما تشكّلانِ مادّةً ثريّةً وجيدةً، وفي نفس الوقتٍ متكاملّةً لدراسة أدب الإخوانيّات في الفترة التي حدّدها للبحث؛ ولأنهما تُتيحان الإحاطةً بجوانبٍ مختلفةٍ ومغمورة عن حياة الشاعرين؛ فضلاً عن أنّنا يمكننا التعرف من خلال دراستهما، على ثقافة الشاعرين وموهبتهما الشعريّة التي وظّفاها في خدمة تلك الثقافة.

### ٣. تحديد إشكاليّة الموضوع

وسوف يُردّ في هذا البحث على أسئلة رئيسة هي: ما هي مناسبة إنشاد القصيدتين؟ وما هو

نطاقهما وأغراضهما وموضوعاتهما ومحاورهما؟ وما هي وسائل التعبير الشعرية فيهما؟

#### ٤. تحديد المنهج

إنّ طرح الإشكالية المذكورة يفرض على الباحث أن يسلك ثلاث طُرُقٍ مختلفة وهي: التاريخية، والموضوعية البنيوية المعجمية، والبنيوية الشكلية.

والمنهج التاريخي هو المنهج المختار للإجابة عن السؤال الأول. وهذا المنهج هو المنهج الذي يُصار فيه إلى دراسة الأديب وأدبه أو الشاعر وشعره من خلال معرفة سيرته ومعرفة البيئة التي عاش فيها ومدى تأثيرها في نتاجه الأدبي أو الشعري. وسيقودنا ذلك إلى أحداث طرأت على العلاقة بين شاعرنا وأفرزت الترسل الشعري بينهما.

وللإجابة عن السؤال الثاني اعتمدنا المنهج الموضوعي الذي سوف ينصبّ اهتمامه في بحثنا على تحديد بنية / نطاق القصيدتين وأغراضهما، وتحليل موضوعاتهما المشتركة والخاصة بوصفها موضوعاتٍ، متجاهلاً العوامل الخارجية المؤثرة فيهما أو الدوافع الكامنة وراء إنشادهما. وفي تبين الموضوعات الرئيسية سوف نستخدم المنهج المعروف بـ"الموضوعية البنيوية المعجمية". وقد طرَح هذا المنهج في العالم العربي الدكتور عبدالكريم حسن<sup>١</sup> من خلال آثاره المتعددة. والفرق بين هذا المنهج ومنهج ريشار الموضوعي فرقٌ في نقطة البدء. ففي حين ينطلق تعريف عبدالكريم للموضوع من قاعدته اللغوية، يأخذ التعريف عند ريشار منحىً آخر (حسن، ٢٠٠٦، ١٨٤). إنّ تعريف الموضوع استناداً إلى قاعدته اللفظية يُخرج الناقد من الحرج الذي يقع فيه عندما تنسحب هذه القاعدة. (حسن، ١٩٨٣، ٣٣٨) يقول حسن في منهجه: «انطلاقاً من حساب التواتر اللفظي، استطعنا أن نحدّد الموضوع الرئيسي في العمل الأدبي. وهذا ما تفتقده "موضوعية" ريشار". فالموضوع الرئيسي في منهجنا هو الموضوع الذي تتفوّق مفرداتُ عائلته اللغوية، من الناحية العددية، على مفردات العائلات اللغوية الأخرى. وهذا يعني أنّه ما من دورٍ مطلقاً للانطباع الشخصي في تحديد الموضوع الرئيسي، بينما يمكن للانطباع الشخصي أن يلعب الدورَ الكبير في "موضوعية" ريشار» (حسن، ٢٠٠٦، ١٨٥).

١. ناقد وأكاديمي سوري.

ولقد آثرنا، فيما يخصّ السؤال الثالث والأخير، تبني المنهج البنويّ الشكليّ باعتباره طريقاً مناسباً للاطلاع على وسائل تعبيرية شعريّة استعملها الشاعران في أشعارهما لإفهام قارئها. وتتوجّه الدراسة، على أساس هذا المنهج، إلى رصد الظواهر الأسلوبية ذات الدلالة أي تلك التي لها وظيفة في البيت أو القصيدة. وهذا المنهج، بوصفه منهجاً شكلياً، يفصل النصّ عن صاحبه. لذلك سوف يتمّ التركيز، في هذا البحث، على بنية النصّ الشعري الداخليّ من دون علاقته بأيّ عامل أو أصل خارجي. ويقوم البحث في دراسة الأسلوب على نظام المستويات الخمسة<sup>١</sup>. وتمتّ معالجة المستويات هذه، مصنّفةً من أبسطها إلى أشدها تعقيداً، وهي: العروضي والموسيقى، والصرفي، والتركيب، والمعجمي، والبلاغي. وفي المستوى البلاغي سوف يُعالج موضوعٌ له علاقة وطيدة بهذا المستوى وهو التناص.

## ٥. الدراسات السابقة

سوف نسعى قبل الكلام على موضوع بحثنا، إلى تعريفٍ وتقويم موجزين بالمصادر التي شكّلت الأساس الذي استند إليه البحث. ومنها مصادر مطبوعة ومصادر مخطوطة.

### ٥-١. المصادر المطبوعة

هناك مصادر مطبوعة للبحث أهمّها:

#### ٥-١-١. محمدحسن الزنوزي (١٣٢٣ق)، رياض الجنة

وهو كتاب كبير بمثابة دائرة المعارف، بالعربية والفارسية، احتوى قسطاً وافراً من العقائد الدينية، والتاريخ، والأدب؛ وفيه تراجم النبي محمد (ص) وأهل بيته (ع) ومخالفهم؛ كما أورد فيه الزنوزي أحوال ملوك ووزراء وأدباء وشعراء وعلماء وشخصياتٍ آخرين. لهذا الكتاب مقدمةٌ وروضاتٌ ثمانٍ وخاتمة. وقام علي رفيعي علامرؤدشتي بتحقيق الروضة الرابعة، وهي تشمل أحوال علماء العامة، والخاصة، والعرفاء، والأدباء، والفلاسفة، ومآثرهم. ويُعتبر المجلد الخامس من الكتاب المطبوع من مصادر حياة الطبيب وتوثيق قصيدته، وهو مصدرها المطبوع الوحيد؛ بيد أنّ الكتاب مشحون

١. المستويات أربعة؛ إلا أنّ خصوصية المستوى الصرفي والمستوى التركيبي/النحوي في اللغة العربية جعلتنا أن نعتبرها مستويين مستقلين، فأصبحت المستويات خمسة.

بأخطاء مطبعية كثيرة.

## ٢-١-٥. عبدالرزاق الدُّبَلِيُّ (١٣٤٢ق)، تجربة الأحرار وتسليية الأبرار

وهو كتاب في مجلدين يشمل تاريخاً مختصراً للطائفة الدُّبَلِيَّةِ وحُكَّامِهَا حتَّى عصر كَرِيمِ خَانَ زَنْدِ (١١٩٣ق). ويتضمَّن الكتابُ حياةَ مجموعة كبيرة من علماء إيرانَ وشعرائها من مُعاصِرِي الدُّبَلِيِّ أيضاً. وأوردَ الكاتبُ في كتابه هذا قصيدةَ هاتِفِ الْأَصْفَهَانِيِّ بِأَكْمَلِهَا (الدُّبَلِيُّ، ١٣٤٩ هـ، ش، ج: ١: ٣٢٦). وقد وردتِ القصيدةُ في المصادر والمراجع الأخرى ناقصةً، منها ديوانه الذي انبرى لتحقيقه وحيد دستجردي (هاتف، ١٣٤٩ش: ١٧٨).

## ٢-٥. المصادر المخطوطة

وقد سبقَتِ الإشارةُ إلى أنَّ نصَّ قصيدة الطيب الذي أورده الزنوزي في رياض الجنَّة قد طُبِعَ بأخطاء كثيرة، وقد حدا بنا ذلك إلى الإفادة من مجموعتين مخطوطتين للزنوزي نفسه، هما: بحر العلوم، والكشكول. وهذان الكتابان مجموعتان أدبيتان مثل كتاب الكشكول للشيخ بهاء الدين العاملي (١٠٣٠ق)، وفيهما قصائدُ عربيَّةٌ للطبيب الْأَصْفَهَانِيِّ، منها قصيدته التي بعثها إلى هاتِف. وحسبَ حفيده فرصت الدولة الشيرازي (١٣٣٩ق) صاحب كتاب آثار عجم ليس للطبيب ديوانٌ شعر، وإنما تبعثتُ قصائده في مطاوي بعض المجموعات الأدبية (فرصت الدولة شيرازي، ١٣٦٢ش، ١٠٦).

نوّد أن نشير في نهاية هذه الدراسة إلى أنَّ أهميَّة هذه المصادر إمَّا تتركز في أنَّها جميعاً كانت قد كتبت على يد مؤرِّخين اثنين عاصراً شاعرنا الطبيب وهاتِفاً. وقد أدرك الدُّبَلِيُّ بالذات الطبيب الْأَصْفَهَانِيِّ واشترك في جلساته التي كان يُقيمها في شيراز (خاتمي، ١٣٧٣ش، ج: ٢: ٢١). ويؤكد عَرَضُ هذه الدراسات على أنَّ إشكاليَّة الدراسة التي وقع عليها اختيارنا لم يتمَّ تناولها من قبل. فبعد التأكد من ذلك، يبدأ بحثنا بتعريف موجزٍ بمصطلحاته الرئيسة. ويجب الانتباه، قبل ذلك، إلى أنَّ نسخة الكشكول التي تُحتفظ في مكتبة المجلس برقم ٧٧٢٧ غير مرقّمة، فلذلك اضطررنا إلى ذكر رقم المخطوطة دون الإشارة إلى الصفحة التي تمَّت المراجعة إليها.

## ٦. تعريف بمصطلحات البحث

قبل الدخول في صلب الموضوع يجب أن نقوم بتعريف بعض المصطلحات الأساسية التي تشكل أساساً منهجنا في البحث، هي: موضوعات القصيدة وأغراضها ونطاقها ومحاورها.

□ موضوعات القصيدة: يُعنى بالموضوع في القصيدة المعنى الذي يدور على محور جزئي، مثل موضوع الشجاعة وهو يدور حول محور الممدوح وصفاته.

□ أغراض القصيدة: ويُقصد بها معانٍ تدور على محور واحد، من مدح، وهجاء، وثناء، وفخر، و... إلخ

□ نطاق القصيدة: والمقصود منه إطاؤها العام الذي يتشكل من أغراضٍ رئيسة؛ فنقول: مدحية، وأهجية، ومرثية، و... إلخ. وبعبارة أخرى أنّ نطاق القصيدة هو العمارة التي يقوم النصّ الشعريّ عليها بصفته مجموعةً من الأغراض التي تخضع لتخطيط أو ترتيب خاصّ في صياغتها. فإن كان النطاق يحتوي على غرض واحد فهو نطاق أحاديّ البناء، وإن كان يحتوي على غرضين فيُعتبر نطاقاً ثنائيّ البناء، فهكذا...

□ محاور القصيدة: ليست محاور القصيدة أقسامها أو أغراضها بل هي أخفّ منها إذ تشمل مجموعةً من المعاني. ولا يلتزم الباحث في تحديد المعاني بتسلسل الأبيات كما ورد في القصيدة بل بصطاؤها من أبيات مختلفة هنا وهناك.

## ٧. مناسبة إنشاد القصيدتين

أصبحت أصفهان، منذ أوائل القرن الحادي عشر الهجري، تُعدّ معقلاً للشيعة الإمامية، وتُعتبر مدارسها الدينية التي تأسست في أواسط هذا العصر أكبر مدارس دينية للفكر الشيعي الإمامي آنذاك. وقد أدى ذلك إلى أن يترك كثير من طالبي العلم والمعرفة مدتهم ليتجهوا صوب أصفهان ويدرسوا على أساتذة كبار يدرسون في حوزتها العلمية ويَهَلُّوا من معينهم. ومن هؤلاء الطلاب شاعرنا الطبيب الأصفهاني الذي هاجر من مدينته جهراً في إقليم فارس إلى هذه المدينة. ثمّ، وقد تعرّف شاعرنا الآخر هاتف على الطبيب في مجالس الأخير لتدريس الطبّ والفلسفة، وفي هذه الجلسات نشأت بينهما علاقة وُدّية حميمة. فبعد أن دعا كريم خان زند الطبيب إلى شيراز ليكون طبيباً بلاطه الخاصّ قد أثر ذلك في معنويات كلّ من الطبيب وهاتف فلجأ إلى مُراسلات، نثراً

وشعراً، بوصفها أداةً تذكّرهما بالآخر. وقد دامت تلك المراسلات إلى آخر حياتهما. وكان هاتف يُعاني، طولَ حياته، من ظروفٍ معيشيةٍ صعبةٍ للغاية، وقد اشتدّت آلامه بعد فراق صاحبه الطبيب. وكان الطبيب يقضي ظروفًا صعبةً في بلاط كريم خان زند أيضاً. ويشير الزنوزي إلى هذا الموضوع، بعد أن يذكر أمر طابته عند السلطان كريم خان زند ومكانته لديه، قائلاً: «إلا أنه كان شاكياً من الدهر الخوان؛ لأنّ أمر الطبابة وخدمة السلطان، كان غير مناسب بشأن ذلك الفاضل العظيم الشأن وكان قابلاً ومستعداً للتأليف والتصنيف في كلّ فنّ في نهاية الحسن والكمال؛ إلا أنه بسبب الاشتغال بتلك الأشغال، لم يجد الفرصة له ولا مجال» (الزنوزي، بحر العلوم، ص ٢٢٢). وحسب الدُّبُلِيِّ يتعلّق الأمر في ذلك بطموح الطبيب للوزارة في بلاط كريم خان؛ إلا أنّ السلطان الزندي لم يُلبّ لذلك (الدُّبُلِيُّ، ١٣٤٩ ش، ج ١: ١٦٢ و١٦٣). فلذلك «كان الطبيب يتأسّف على جرمانه من أوطانه وإخوانه» (م. ن).

#### ٨. نطاق القصيدتين

أنشد هاتف قصيدته في خمسة وأربعين بيتاً، وهي تقسم إلى قسمين: الشكوى فالدعاء: الشكوى (الأبيات: ٤١-١) / التخلّص (البيت: ٤٣) / الدعاء (الأبيات: ٤٥-٤٣). فالقصيدة شكويّة. شكا شاعرنا في القسم الأوّل من القصيدة عدّة أمور، منها: ابتعاده عن أستاذه وصديقه وصاحبه الطبيب الأصفهاني، وقد قضى معه أسعد الأوقات في أصفهان. ثمّ دعا له في الأبيات الثلاثة الأخيرة. إذن للقصيدة غرضان، فهي ثنائيّ البناء.

أمّا الطبيب الأصفهاني فأنشد قصيدته في أربعة عشر بيتاً، وبدأها بالشكوى من فراق هاتف ثمّ مدحه وتمنّى نظمه ونثره، وأخيراً دعا له. إذن للقصيدة ثلاثة أغراض، فهي ثلاثيّة البناء: الشكوى فالمدح فالدعاء: الشكوى (الأبيات: ٤-١) / التخلّص (البيت: ٥) / المدح (الأبيات: ١٣-٥) / التخلّص (البيت: ١٣) / الدعاء (البيت: ١٤). وكما يُلاحظ أنّ المدح احتلّ المساحة الكبرى من القصيدة، فهي قصيدة مدحيّة.

وما يلفتُ النظر هنا بشكل خاصّ قيام الطبيب في قصيدته بمدح هاتف؛ إلا أنّ الأخير لم يُقّم بمدح الطبيب، ويُبدى ذلك المكانة العالية التي كان يحتلّها التلميذ لدى أستاذه.

## ٩. موضوعات القصيدتين الرئيسة

وفي هذه الفقرة سوف تتم دراسة الموضوعات الرئيسة في القصيدتين على حدة.

## ٩-١. موضوعات قصيدة هاتف الصيدية

انطلاقاً من الموضوعية البنيوية المعجمية التي أرسى دعائمها عبدالكريم حسن، فالموضوع الرئيس في قصيدة هاتف هو قصة مريض نفسي أمرضه ترك صديقه الحميم إياه. أراد هاتف أن يعبر عن حبه وإخلاصه للطبيب، وما يعانیه من ألم الفراق والبعد عنه، وحاول التعبير عن ألم عميق انتقل من نفسه إلى جسده حيث كاد يموت من هذا الفراق. ويمكن تقسيم العائلة اللغوية المسيطرة للنص كالتالي: حقل دلالية رئيسة وحقول دلالية ثانوية. فالحقول الرئيسة هي:

□ حقل الآلام النفسية (١٩): الهم (٥)، الكربة (٣)، اللهب (٢)، الضر (٢)، ضاقت عليّ (٢)، الكئيب (١)، العناء (١)، المضطر (١)، الأنين (١)، الرنة (١)؛

□ حقل المرض بعينه (١٧): الداء (١٠)، الطبيب (٣)، آلام (٢)، أسقام (١)، العليل (١).

والحقول الدلالية الثانوية هي:

□ حقل الفراق (٤): نأى (٢)، بجافى (١)، الفراق (١)؛

□ حقل الحب (٤): الهوى (١)، الغرام (١)، اللوعة (١)، المتيم (١)؛

□ حقل التشاؤم (٤): مُت (١)، غألني دائي (١)، عيشة مشمّزة (١)، ليلة فدلهمّة (١).

ويشمل هذا المعجم ثماني وأربعين مفردةً بين اسم وفعل. ويلاحظ المتأمل فيه أنّ حقل التشاؤم الأخير قد انبثق من حقل الآلام النفسية حيث تسبّب ابتعاد المحبوب إلى مرض وآلام نفسية، وعندما طال غيابُه أدى ذلك إلى نظرة تشاؤمية للحياة لدى الشاعر، وبالتالي فقد أسفرت عن ذلك فكرة اقتراب الموت عنده لولا عودة المحبوب قريباً.

ومع أنّ هذا التصنيف المعجمي الموضوعاتي لن يهتم بجميع موضوعات القصيدة، وبالتالي فإنّ قصوره واقع لا يُنكره أحد؛ إلا أنّ الدارس يستطيع بواسطته أن يضع اليد على جو القصيدة العام ومقصدِها، ويستشف من خلاله أنّها تتّحوّل حول العلاقة التي تُقيمها بين ثنائية فراق المحبوب ووصاله. ففراق الطبيب وابتعاده عن هاتف بوصفه عنصراً سلبياً يحمل الألم والحزن والتشاؤم إلى صاحبه (هاتف)، كدءٍ يُعانيه هذا الأخير، ويجد في رجوع المحبوب وزيارته له دواءه، فرؤية المحبوب



كعنصر إيجابي هي المنوطة بعلاج المحب/هاتف وشفائه.

## ٢-٩ . موضوعات قصيدة الطبيب الرئيسة

وبالنسبة لقصيدة الطبيب الأصفهاني، فبناءً على الموضوعية البنوية المعجمية، يمكن تقسيم حُقولها

الدلالية كما يلي: حُقول رئيسة وحُقول ثانوية. فالحُقول الرئيسة هي:

□ حقل هاتف وأدبه (١٦): نظم (هاتف) وحُسنه (٤)، نثر (هاتف) وسيأفه (٢)، الكتاب (٢)، عظمته (الكتاب) (١)، ختامه (١)، قبْلته (١)، رسمه (خطه) (١)، صاح (١)، حياء (هاتف) (١)، الموفي (١)، القوافي (١)؛

□ حقل المرض والآلام النفسية (١٢): الفؤاد (٢)، الداء (٢)، الدواء (٢)، مداواة (١)، القلب (١)، عاجلوا (١)، علاجي (١)، العافي (١)، أساة الهوى (١)؛

□ حقل الفراق والوصال (٧): تناءيت (١)، فراقك (١)، البين (١)، الهجر (١)، عود (١)، الوصال (١)، وصلك (١).

والحُقول الدلالية الثانوية هي:

□ حقل التشاؤم (٥): الفاني (١)، العداوة (١)، الأذى (١)، الناسي (١)، لاينسى (١)؛

□ حقل الشعراء (٣): لبيد (١)، زهير (١)، قيس (١).

ويشمل هذا المعجم ثلاثاً وأربعين مفردةً بين اسم وفعل. وهذا الكم كثير نسبياً بالنسبة لعدد أبيات القصيدة. والملاحظ في هذا العرض أنّ لحقل هاتف وأدبه علاقةً وثيقةً بحقل الشعراء حيث اجتمع فيه شعراء قارئ الطبيب شعر هاتف بأشعارهم؛ فمجموع المفردات التي يشملها الحقلان معاً تسعة عشر. كما أنّ حقل التشاؤم مرتبط بحقل المرض والآلام النفسية مثلما رأينا في قصيدة الطبيب؛ فقد وصل عدد المفردات التي يحتضنها الحقلان جميعاً سبعة عشر. وخلافاً لتصنيف معجم قصيدة هاتف يشمل هذا التصنيف أكثر المفردات الواردة في النص الشعري. وعلى ضوء هذا التصنيف ستقتصر العناية على موضوعين رئيسين، هما:

## ١-٢-٩ . هاتف وأدبه

ويدور هذا الموضوع حول ثنائية الفراق/الكتاب، ويتمثل وصال المحبوب في الكتاب الذي تسلّمه الطبيب وعظمته وقبّله. وخفف هذا الكتاب الذي بمثابة المحبوب لدى الطبيب شيئاً من آلامه

وأوجاعه بما يحتويه من نثر ونظم يفوق أجمل ما أنتجه الأدباء العرب القدامى. وكان الطبيب ينظر إلى هذه الرسائل بوصفها دواءً لدائه الذي كاد أن يؤدي به إلى الموت، وهو يشير إلى ذلك إذ قال:

أتاني كتاب منك والبين قد جفا      على القلب حتى كاد يُصبح فانيا  
كتابٌ غدا في الفيض يحكي عن الحيا      فأحيها فؤاداً رسمه صار عافيا

ويرفع من شأنها عندما يقول:

فعظّمته لَمَّا رأيتُ ختامه      وقبلتُ به ثم استعدتُ مُباهيا

وتقبيل الرسالة قبل فتحها وتكراره مؤشراً يوحيان بأنّ الطبيب كان يولي أهمية كبرى لهذه الرسالة. ثمّ، وبعد قراءة الكتاب، يُشيد الطبيب نثر هاتف الذي يشبهه بالقرآن الكريم إذ قال:

فيا حَبّذا نثرٌ يكادُ سياقه      يكوُّ عن الإلهام والوحي حاكيا

وهو يُثني على شعر هاتف أيضاً إذ قال:

ويا لك من نظم يصير بحسنه      لنظم كبيد بل زهير مباريا  
كفى نظم قيس عند ذي الطبع شاهداً      بأنّ له الدعوى ومنك القوافيا

فالأرجح أنّ هاتفاً كتب كتابه باللغة الفارسية فأشاد الطبيب بنثره الفارسي؛ إلا أنّ تنويّه بنظم هاتف يشمل شعره العربي قطعاً. وشبهه الطبيب شعر هاتف بشعر شعراء عرب معروفين، وهم: لبيد وزهير وقيس بن الملوّح المعروف بمجنون ليلي؛ وخصّ المجنون ببيت على حدة، وقال لو كان شعر المجنون دليلاً على ادّعائه الحبّ إلا أنّ شعرك في الحبّ أجمل. وتمت الإشارة، في بحث سابق، إلى مدى تعلق الطبيب بهذا الشاعر حيث بدا بوضوح تأثره بموسيقى شعر المجنون وقوافيه في أكثر أشعاره العربيّة، ومنها هذه القصيدة بالذات (مرعشي، ١٤٣٣ق، ص ٢١٦).

ولهاتف ثلاث قصائد عربيّة، منها القصيدة التي بعثها إلى أستاذه الطبيب في شيراز، وهي ٤٥ بيتاً، والقصيدتان الأخريان هما:

(أ) قصيدة ميمية مستمارة بـ"القصيدة الوجدية في الواردات النجدية" أو "القصيدة النجدية في مناقب أهل بيت خير البرية" (٨٠ بيتاً)، ومطلعها:

نَادَمْتُ أَهْلَ الْحِمَى يَوْمًا بَدَى سَلَمٌ      فَارْقَتْهُمْ وَنَادَيْمِي بَعْدَهُمْ نَادَمٌ  
(المجموعة المخطوطة ٨٣٧٣/٤، الورقة ٢٤/و)

ويلاحظ القارئ في القصيدة أنّ هاتفاً قد جرى فيها قصيدة البردة المعروفة للبوصيري. وقد وردت هذه القصيدة في المصادر والمراجع المطبوعة ناقصة (٤٨ بيتاً) أيضاً؛ إلا أننا وجدناها كاملة في مجموعة مخطوطة برقم ٨٣٧٣/٤.

(ب) قصيدة أخرى باسم "القصيدة الوجدية في الواردات النجدية" أيضاً (٣٨ بيتاً):

سَلِمَى عَلَى رَحْلِهَا وَالرَّحْلُ مَحْمُولٌ      وَالرَّكْبُ مُرْتَحِلٌ وَالْقَلْبُ مَتَبُولٌ  
(المجموعة المخطوطة المصوّرة ١٥٠/٤، ص ٤٧)

وقال حريجي في موضوع القصيدة: «موضوع هذه القصيدة يدور حول الغزل كما يبدو من مطلعها» (حريجي، ١٩٦٥، ٢٦)؛ إلا أنّ وزن القصيدة ورويها وبعض ميزات الأخرى توحى بأنّها قصيدة مدحية نبوية على غرار قصيدة البردة لكعب بن زهير، وربما ضاعت بعض أبياتها. وقد تمّ العثور على نسخة فيها أبيات من القصيدة لم تردّ في الديوان، كما لم تردّ بعض أبيات الديوان فيها. والنسخة من مقتنيات مكتبة الفاضلي في خوانسار ورقمها ١٠٢.

## ٢-٢-٩. المرض والآلام النفسية

ويدور هذا الموضوع حول ثنائية الفراق/الوصول، فابتعاد هاتف من الطبيب عنصر سلمي يحمل المرض والتشاؤم إلى الأخير فيتوقّع علاجه بالرجوع إليه. ويمكن مشاهدة ذلك في قصيدة هاتف؛ إلا أنّ ما يلاحظ عند الطبيب من حالة نفسية أنشأها هذا الفراق لا يصل إلى الدرجة التي شوهدت عند هاتف، ولا يبدو متحمساً حماساً شديداً للمضي في هذا المجال؛ لأنّ الطبيب أشركه بموضوع آخر وهو مدح هاتف. وقد يرجع الأمر في ذلك إلى أعمال الطبيب الكثيرة فلم يكن لديه مجال ليعبر عن مشاعره تجاه هاتف كما يليق به.

## ١٠. محاور القصيدتين

يمكن تقسيم محاور القصيدتين إلى محاور رئيسية ومحاور ثانوية.

## ١٠-١. المحاور الرئيسة

تحتوي القصيدتان، وفقاً لنطاقيهما، على ثلاثة محاور رئيسية: الشكوى والمدح والدعاء.

## ١٠-١-١. الشكوى

إنّ للشكوى نصيب الأسد بين محاور القصيدتين الرئيسة، وذلك أمر طبيعي؛ لأنّه هو الدافع الأساس لإنشادهما. ولو تمّت دراسة هذا المحور الرئيس لدى هاتف يمكن تقسيمه إلى محاور ثانوية وترتيبها من الأهمّ في ثنائيات ضديّة كالآتي:

(الف) ثنائيتة هاتف/الطبيب:

ويُشكّل هذا المحور، المحور الغالب في قصيدة هاتف إذ نراه في أكثر أبياتها. ويمكن تقسيم هذا المحور إلى محاور ثانوية كالتالي:

(١) استذكار الطبيب بالليالي التي قضياها في أصفهان وهو مسرور بلقائه إذ يقول:

فوالله لا أنسى ليالي قد مضت	وكنك بهيجاً من لقاءك مباحيا
ليالي فيها عشيت عندك في الحمى	وبت عن القلب المتيم حاكيا
ليالي من همّ الصباح وهوليه	سهرت رقيباً للنجوم مُراعيا
ليالي عشنا في سُرور وجمجة	ورحب وأمن لا تخاف الأعدايا

ومن الناحية الأسلوبية يمكن الإشارة إلى الأمور التالية: تكرار كلمة "ليالي" عمودياً أربع مرّات في هذه الأبيات، ودور النبر الموجود في حرف الواو المتكرر ثلاث مرّات في البيت الأخير في تصوير تلك الليالي وجوّه المفعم بالبهجة والسرور. وفي هذا المحور بالذات، أي استذكار الطبيب بالليالي التي قضياها في أصفهان، يتمنى شاعرنا بتكرار تلك التجربة الجميلة إذ قال:

ألا ليت شعري، هل يجود زماننا	علينا بليلى مثلن تلك الليالييا؟
وهل يُرتجى في الدهر يوماً وليلة	أراك على ما أشتهي وترانياً؟
وهل يلتقى حين من الدهر عاجلاً	نرى ما نرى في عهدنا فيه ماضيا؟

وأبرز وسائل التعبير الشعريّة التي استعملها الشاعر في هذه الأبيات، هي كالأبيات: في المستوى الموسيقي هناك دور التكرار الوظيفي في ثلاثة أسئلة استفهاميّة؛ كما نجد توازناً صوتياً بين جملتين استفهاميّتين وفعلين مجهولين في البيتين الثاني والثالث. وفي المستوى الصرفي نُشاهد صيغتي مجهول من باب افتعال، في: يُرَجِّحِي ويُتَقَى؛ كما استُخدم الاستفهام موضع التميّث ثلاث مرّات؛ ويستذكرنا ذلك بأبيات متشابهة من مدحيّة الشاعر في المهدي المنتظر (عج)، وهي:

ألا ليت شعري، هل يعود الذي مضى؟ وهل قدّر الرحمن فينا تلاقياً؟

وهل لصريع الحبّ في الحبّ عودة؟ وهل لسليم الحجر من بات راقياً؟

وهل كان بالماضين ما بي من الهوى؟ وهل في النوى باتوا بحال كحاليا؟

(مرعشي، ١٤٣٣ق، ٢٠١)

وقد تُعزّز المقارنة بين هذه الأبيات والأبيات السابقة نظريّة أن يكون الممدوح في القسم الأول من القصيدة المدحيّة هو هاتف أيضاً، خاصّة، وأنّ هناك أوجّه شبه أخرى بين القصيدتين. وترجع عبارة "أراك على ما أشتهي وترانيا؟" بقارئها إلى أجواء دعاء الندبة إذ يخاطب الداعي المهدي المنتظر (عج): "متى ترانا ونراك؟" كما أنّ عبارة "حين من الدهر" تستذكره بالآية الأولى من سورة الإنسان.

٢) استذكار الطبيب بطول أيام الفراق والعهد الذي كان بينهما إذ قال:

أمن طول أيام الفراق نسيّتي؟ وحاشاك أن تنسى محبّاً موافياً

أم اخترت غيري من محبيك مؤثراً؟ وحاشاك أن تعناصني بسوائيا

نسيّت عهداً بيننا ونقضتّها؟ فياويح نفسي! ما حسبتك ناسياً

وقد أفاد الشاعر من وسائل تعبيرية كالتالي: تكرار عبارة "وحاشاك أن" مرتين متوازياً، وتكرار مادّة "ن س ي" أربع مرّات ليؤكد على معنى النسيان، وتكرار الجملة الاستفهاميّة مرتين لإبراز استغرابه من إطالة مدّة الفراق من جانب الطبيب، واستعمال كلمة "موافياً" بمعنى موافياً؛ ولن تستعملها العرب بهذا المعنى؛ إلا أنّ الضرورة الشعريّة دفعت الشاعر إلى هذا الاستعمال، وإضافة الهمزة في "سوائيا" للضرورة الشعريّة، واستخدام تركيب "حاشاك" وهي كلمة يُستثنى بها، ومعناها: جانبك، واستعمال جملة "فياويح نفسي" وهي كلمة ترخّم وتوجّع أوردتها هاتف في شعره ليؤكد على نسيانه

عند الطبيب، وما كان يصوّر ذلك. وفي المستوى المعجمي يَلْفِثُ القارئ استعمالَ عبارة "تعتاضني بسوائيا" بمعنى تستبدلني بغيري، ولم يَرِدْ هذا المعنى في قواميس اللغة العربيّة، وكان عليه أن يقول: "تستعاض عني بسوائيا". ويبدو في استعمال هذا التركيب أثر اللغة الفارسيّة بوضوح.

(٣) وصف مدينة شيراز بوصفها مدينةً تحتضن المحبوب/الطبيب:

<u>إلى بلدة مُحَقَّتْ بكلّ مسرّة</u>	<u>إلى بلدة أضحّت من الهمّ خاليا</u>
<u>إلى بلدة معمورة حول سُورها</u>	<u>يطوف كطيرٍ مُستَهامٍ فؤاديا</u>
<u>إلى بلدة تُحكّي الجنانَ وروحها</u>	<u>هنيئاً لمن فيها من العيش راضيا</u>
<u>إلى بلدة فيها هواي ومنيتي</u>	<u>إلى بلدة فيها حبيبي ثاويا</u>

ويرى الشاعر أنّ مدينة شيراز تحفل بالبهجة والتسلية، وليس فيها ما يُثير حزناً للإنسان، وكلّ ذلك بسبب وجود المحبوب فيها. ومن الناحية الأسلوبية هناك أمور أفاد منها الشاعر ليؤكد على هذا المعنى: في المستوى الموسيقي استعان هاتف من تكرار عبارة "إلى بلدة" ستّ مرّات عمودياً وأفقيّاً، ليتولّد من هذا التكرار إيقاع يدلّ على أنّ هذه المدينة هي التي تتضمّن دواء الشاعر وهو الطبيب، وهو المكان الذي يجد فيه الشاعر مبتغاه. وفي المستوى التركيبي فالأفضل أن يُقرأ الشطر الثاني من البيت الأوّل، بهذا الشكل: "إلى بلد أضحى من الهمّ خاليا"، وقد اختلط التذكير والتأنيث في المفردات. واستعمل الشاعر في البيت الثاني "الطير"، وهو جمع، بدلّ الطائر، وأحال الضمير المفرد في "يطوف" إليه. ويدلّ ذلك على عدم كفاءة هاتف في استخدام المفردات العربيّة. وفي المستوى البلاغي تستوقفنا الصور الشعريّة التالية: تشبيه فؤاد الشاعر بطائر عاشق مُستَهام يطير فوق المدينة بسبب حضور محبوبه فيها. وتشبيه مدينة شيراز بالجنّة في جمالها. و يَلْفِثُ في التشبيه استعمال فعل "تحكي" أداة للتشبيه.

(٤) وفي هذا المحور بالذات يشير هاتف إلى اشتداد المدّة التي قضاها بعد فراق الطبيب إذ

قال:

<u>مضى العمرُ في ضرّ من العيش وانتضى</u>	<u>وما الدهر إلا باخلٌ عن مراميا</u>
<u>تَصَرَّ في ضرّ ولَهْفٍ وما مضى</u>	<u>ببَيْئٍ عن باقيه لو كان باقيا</u>

ومن الناحية الأسلوبية اعتمد الشاعر على مقوّمات متعدّدة، أهمّها التالية: في المستوى الصرفي

استعمال كلمة "تَصَرَّمَ" على وزن تَفَعَّلَ، وهو وزن يوحي بالتتابع والشدة التي قد يتطلب إتمام حدوث الفعل معها فترة من الوقت لاحتواء المشاعر المتأججة بين حبيبين أفسدت روعةً وصاهلها حتمية الفراق. وفي المستوى المعجمي يكون لِحَقْلِي الزمان: مَضَى، انقضى، تَصَرَّمَ؛ والضمر والخُسران: الضَّرَّ، لَهْفٌ؛ دَوْرٌ وظيفي ملحوظ. وفي المستوى التركيبي يبدو الحصر في الشطر الثاني من البيت الأول. وفي المستوى البلاغي يلاحظ تشبيه الدهر بإنسان بخيل حال دون وصول الشاعر إلى مُبتغاه.

هـ) وفي هذا المحور (هاتف/الطبيب) هناك إشاراتٌ طفيفةٌ إلى مدح الطبيب في المفردات والعبارات التالية: طيبي (البيت: ١) وفيه إيهام إلى اسم الممدوح وتخصّصه؛ كعبة الآمال ودار الأمانيا (البيت: ١٢)، بيت العزّ ودار مراميا (البيت: ١٧)، غاية المنى (البيت: ٢٢). وفي "بيت العزّ" إشارة إلى المكانة التي كان يحتلها الطبيب في بلاط كريم خان زند.

ب) ثنائيتة هاتف/المرض: يستهلّ الشاعر قصيدته بذكر مرضه النفسي الذي يعزوه إلى فراق أستاذه الطبيب. وقد أوجد ذلك حقلاً طبياً في الأبيات الخمسة الأولى يشمل المفردات التالية: (الطبيب والداء والدواء وتداووني وتداوي). وفي هذه الأبيات يحدّد الشاعر المريض دواءه الوحيد وهو تجديد زيارة الطبيب.

ثمّ نراه في البيتين ٨ و ٩ وهو يشكو؛ لأنّه قد وقع في ظروف نفسية صعبة إذ قال:

عَلَيَّ رَيْبُ الْأَرْضِ ضَاقَتْ بِرَحْبِهَا      مِنْ الْهَمِّ بَلْ ضَاقَتْ عَلَيَّ ذِرَاعِيَا  
فَصَرْتُ وَلَا أُدْرِي مِنَ الْيَوْمِ لَيْلَتِي      وَلَا عَنْ بَيْمِنِي لَوْ نَظَرْتُ شِمَالِيَا

وقد أفاد الشاعر في توضيح هذا الأمر من عدّة أمور، منها: تكرار فعل "ضاقت" مرتين، في البيت الأول. ونلاحظ أخطاءً أنشأها عدمُ تضرّع الشاعر في دقائق اللغة العربية. فاستعمل، في الشطر الثاني من البيت الأول، فعل "ضاقت" مع حرف "على" بدل حرف "ب". والتضاد بين ضيق الأرض ورحب الهموم وتوسّعه. وفي مجال التناصّر تمّ استعمال تعريب مَثَلٍ فارسي، هو: "ولا عن بيمينى لو نظرتُ شماليا". وهذا المثل يُقصد به الرجل الغيبي الذي لا يعرف شيئاً، وتُعادله في العربية أمثال كثيرة، منها: "لا يعرف الحيّ من اللّي".

ويبدو هاتف في أواخر قصيدته وهو يعتذر شكواه من آلامه عند الطبيب:

سَمِعْتُ حَبِيبِي مِنْ أُنَيْبِي وَرَنَّتِي      وَإِصْغَاءَ آلامِي وَطُولَ مَقَالِيَا  
فَرَفَقًا بَمَلْهَوفٍ يُلْحَحُ اسْتِغَاثَةً      وَعَفْوًا عَنِ الْمَضْطَّرِّ يُطِنِّبُ شَاكِيَا  
أَطْلُكُ وَأَطْنِبُكَ الْمَقَالَ وَلَا يَنْفِي      بِتَشْرِيحِ مَا فِي الْقَلْبِ بَسْطُ لِسَانِيَا  
خَتَمْتُ عَنِ الشُّكُوفِ لِسَانِي وَبَعْدَهُ      خَتَمْتُ كَلَامِي مُسْتَعْيَبًا وَدَاعِيَا

وتساعد الشاعر في اعتذاره الأمور التالية: النبر الموجود في حرف الربط "الواو" في البيت الأول، ويساعد ذلك في إنشاء علاقة بين صوت هاتف المتوجع المتشكي وإظهاره من قبل الشاعر واستماعه من قبل الطبيب. وتكرار فعل "ختمت" مرتين. ومعجم الطول والإطناب الذي يشمل أربع مفردات.

(ج) ثنائيتة هاتف/الأصدقاء: وقد بدأ الشاعر قصيدته منذ البيت الأول حتى البيت العاشر بلوم أصدقائه الذين كانوا يلومونه على جزعه، ويطلب منهم أن يتركوه مع ألمه وسقمه، ثم يلتمسهم كي يذهبوا إلى شيراز لزيارة الطبيب ويُخبروه بحاله (البيتان ١١ و١٢، والأبيات ٢٢-١٧). أمّا من هُم أصدقاء هاتف في أصفهان؟ كان لهاتف أصدقاء في أصفهان تعرّف عليهم في المجالس التي يُقيمها كل من الطبيب ومشتاق (بين ١١٦٩ و١١٧١ق). وأشهر أصدقائه هم: محمدتقي القمّي المعروف بـ "صهبا" (١١٩١ق)، ولطفعلي بيگ المشهور بـ "آذر بيدگلي" (١١٩٥ق)، وسليمان صباحي (١٢١٨ق). وكانت بينهم مراسلات شعرية فارسية.

ويستعين الشاعر في هذا المحور من الأساليب التالية: في المستوى الموسيقي هناك جناس مُقارِب بين أخلاي وخلوني (البيت: ١)؛ كما يُلاحظُ القارئُ النبرَ في الأبيات ٣ و٢ و١٢. وفي المستوى الصرفي تَلَفُتْنَا كَلِمَةً وَيَحْكُمُ لِلتَّرْحَمِ؛ وحذفت الهمزة في كلمة "أخلاء" للضرورة الشعرية. وقد تَمَّتِ الإشارةُ سابقاً إلى إضافة الهمزة في "سوائيا" لنفس الغرض. وحذفت الهمزة وإضافتها من الضرورات الشعرية الموجودة في شعر شعراء إيران في هذه الفترة الزمنية (مرعشي، ٢٠١٢م، ٢٢٢). وفي المستوى التركيبي يمكن الإشارةُ إلى ورود الجملة: "يطلبون بثاريا" إذ أضيف حرف جرّ "ب" إلى فعل "طلب" خطأً. ويبدو الشاعر وهو يأمر أصدقاءه كي يذهبوا إلى شيراز لزيارة الطبيب، وذلك بجملة استفهامية وردت في البيت ٧: "ألم يأن إخواني لكم أن ترحموا...". وفي المستوى المعجمي هناك دور وظيفي لمعجم: أخلاء/بني أمّ/إخوان/يا قوم. ويُظهر هذا المعجم العلاقة الحميمة التي كانت بين هاتف وأصدقائه. واللافت في المستوى البلاغي التضادّ بين ترومون



إصلاحه وأفسدني الهوى (البيت: ٣).

ويُعتَبَرُ الشكوى من المحاور الرئيسة في شعر الطبيب إذ يشملها القسم الأول منه:

تَنَاءَيْتَ عَنِّي يَا خَلِيلِي غَاوِيَا      وَغَادَرْتَ نَارًا تَلْتَطْطِي فِي فُوَادِيَا  
أَسَاءَةُ الْهُوَى رَامُوا عِلاجِي وَعَالَجُوا      بَكَلَّ مَدَاوَاةً، وَمَا بِي كَمَا بِيَا  
دَوَائِي دَوَائِي مِنْكَ يَا صَاحِ فِي السُّورَى      فَرَاقَكَ دَائِي وَالْوَصَالَ دَوَائِيَا  
مَنْ اللَّهُ أَرْجُو عَوْدَ وَصَلِّكَ عَاجِلًا      وَأَسْأَلُهُ أَنْ لَا يَجِيِبَ رَاجِيَا

أما النواحي الأسلوبية في هذا المحور فهي كالآتية: ليس للشطر الثاني من البيت الثاني: "ما بي كما بيا" معنى واضح. ولمعجم الداء والدواء والعلاج والوصال، في هذا المحور، دور وظيفي هام. ويُذكر، في هذا المجال، أن عبارة "أساة الهوى" وردت في رياض الجنة المطبوع: "أساة الورى" (الزنجري، ٤٣٢ق، ج ٥: ١٦٣). واستعملت كلمة "غاويا" بمعنى ظالماً. وتُذكر عبارة "تَنَاءَيْتَ عَنِّي" قارئها بجملة "تجافى طيبي نائياً" في البيت الأول من قصيدة هاتف. واللافت أن كلاً من الشاعرين يحمل الآخر مسؤولية الفراق الحاصل بينهما. وبصورة عامة، هناك مفردات مشتركة ومترادفة في القصيدتين، مثل: الداء، والدواء، وحاكيا، وداعيا، والمداواة/المداويا، ونائيا/تَنَاءَيْتَ. وفي المستوى البلاغي يُلْفِئُنا التضاد بين الداء والدواء، وبين الفراق والوصال.

## ٢-١-١٠. المدح

لا يُعتبر المدح محوراً رئيساً في قصيدة هاتف؛ بل يجد القارئ فيها، هنا وهناك، ملامح وإشارات تُفيد معنى المدح. وتمثل تلك الإشارات في عبارات استعارية أشير إليها في الفقرات السابقة. هذا، وأن المدح محور رئيس في قصيدة الطبيب حيث احتل القسم الأهم فيها أي القسم ب (الآيات: ١٣-٥). والنواحي الأسلوبية في هذا المحور هي: الجناس غير التام بين "الحيا" و"أحيا" (البيت: ٦)، والتوازن الصوتي بين "فَعْظَمْتُهُ" و"وَقَبَلْتُهُ" (البيت: ٧). وفي المستوى التركيبي يمكن الإشارة إلى استعمال جملتين استفهاميتين بمعنى التمني (البيتان: ١١ و١٢). وفي المستوى البلاغي يمكن مشاهدة تشبيهات متنوعة كالآتي: تشبيه الكتاب بالمطر (البيت: ٦)، وتشبيه فؤاد الشاعر بيتاً مَحْتٌ بقاياها (البيت: ٦)، وتشبيه شعر هاتف بأشعار لبيد وزهير وقيس (البيتان: ٩ و١٠).

## ٣-١-١٠. الدعاء

تتضاءل أهمية محور الدعاء في القصيدتين حيث يقتصر في قصيدة هاتف بثلاثة أبيات، وفي قصيدة الطبيب بيت واحد. ومن الناحية الأسلوبية لا يوجد فيه شيء يُذكر إلا كلمة "إسجال" في البيت ٤٣ من قصيدة هاتف، والصحيح هو: "سجل" مجرداً. وأخيراً، أنشد الشاعران قصيدتيهما على البحر الطويل، وهو بحر معروف شائع في الشعر العربي. وفي قوافيهما ألفان: ألف الإطلاق في نهاية البيت وبعد رويّ الباء، وألف التأسيس قبلها. وقد شاركت الألفان في خلق جو حافل بالحزن والأسى يتناسب مع حالة الشاعرين النفسية والتي تسبب إليها فراقهما عن بعض.

## ١١. النتيجة

وصلنا الآن إلى نهاية المطاف لعرض نتائج البحث وآفاقه الجديدة.

## ١١-١. نتائج البحث

فيما يخص السؤال الأول وصل البحث إلى أنّ الشاعرين قاما بتبادل القصيدتين يُقلّلا من ضغوط نفسية أوجدها الفراق القسريّ بينهما.

وفيما يتعلّق بالسؤال الثاني وجدنا قصيدة هاتف شكوائيّة ثنائيّة البناء، كما وجدنا قصيدة الطبيب مدحيّة ثلاثيّة البناء. ورأينا أنّ موضوع قصيدة هاتف الرئيس هو قصّة مريض نفسيّ أمرضه تركّ صديقه الطبيب إيّاه، أمّا موضوعات قصيدة الطبيب الرئيسة فهي: هاتف وأدبّه، والمرض والآلام النفسية التي تسبب إليها ابتعاده عن هاتف. وقد وصلنا، في بحثنا، إلى أنّ محاور القصيدتين هي: الشكوى والمدح والدعاء.

أمّا بالنسبة إلى وسائل التعبير الشعريّة في القصيدتين فيمكن الإشارة إلى الأمور التالية: من الظواهر الموسيقية في هذه الأشعار: تكرار الحروف والمفردات والجملات، والتوازن والتوازي الصوتيان، والنبر في حرف الربط "الواو" خاصّة. وفي المستوى الصرفيّ بدأ، في القصيدتين، حذف الهمزة وزيادته للضرورة الشعريّة؛ كما ظهر، عند هاتف، استعمال صيغة تفعل بمعنى التصنع والتكلف. ومن الناحية التركيبية بدأ استعمال تركيب غير واضح المعنى في قصيدة الطبيب، وهي:

"وما بي كما بيا"؛ كما تمّ الحصولُ على استعمال التأنيث مكانَ التذكير في شعر هاتف. ورأينا كيف استعمل الشاعران الجملة الاستفهامية بمعنى التمني. ووجدنا لدى هاتف الأصفهاني أخطاءً في استعمال المفردات العربية أفرزها عدمُ تضرُّع الشاعر في اللغة العربية. وفي المستوى البلاغي لفتنا استخدامُ الصور التشبيهية في القصيدتين، كما وجدنا عباراتٍ استعاريةً لدى هاتف لقّبَ بها الممدوح الطبيب. وقد رأينا دوراً للتضاد. وفي مجال التناصّ ظهر استعمالٌ مثليّ فارسيّ ترجمه هاتف إلى العربية بدل أن يذكّر معادلته باللغة العربية. وثمة مفرداتٌ مشتركةٌ ومترادفةٌ في القصيدتين يمكنُ اعتبارها نوعاً من التناصّ في شعر الطبيب خاصة.

ومن خلال هذه الدراسة تمّ العثور على أشعار عربية جديدة لهاتف حيث بلغت مائةً وثلاثةً وستين بيتاً. وقد أضفنا بذلك، ستّةً وستين بيتاً جديداً إلى تراثه الشعري.

## ٢-١١. آفاق البحث الجديدة

مع كلّ ما بذلنا من الجهد، لاتزال هناك نواحٍ من المساجلات الشعرية بين الشعاعين، تحتاج إلى دراساتٍ أخرى، وعلى سبيل المثال للطبيب الأصفهاني قصيدتانٍ أخريانٍ باللغة العربية أرسلهما إلى هاتف، فهل تمتلك القصيدتان خصائصَ أخرى غير التي وجدناها في دراستنا؟ هذا سؤال قد ينفتح على مسألة جديدة للبحث.

\*\*\*\*\*

## الملحق الأول

### قصيدة هاتف الأصفهاني

١. نجافى طبيبي نائياً عن دوائيا
  ٢. تُداوونني رفقا علىّ وأنتم
  ٣. ترومون إصلاحني وأفسدني الهوى
  ٤. ترون دوائني النصيح واللوم ويحكم
  ٥. فيا ليتني ألقى لدائي وكرتي
- أحلامي حلووني أبيت ودائيا  
على غفلة مني وجهلي بحاليا  
فهيهات ما أنتم عليه وما بيا  
ألا وطبيبي لا سواء دوائيا  
سواء دواءً أو طبيباً مُداويا

٦. بني أمّ قد أبكي دماً وتروني  
 ٧. ألم بأن إخواني لكم أن ترّموا  
 ٨. عليّ رضى الأرض ضاقت برحبها  
 ٩. فصرت ولأدري من اليوم ليلتي  
 ١٠. إذا غالني، يا قوم، دائي خلاكم  
 ١١. بنفسي أنتم، لو تريدون عشري  
 ١٢. فقوموا بلامهلي وسوقوا مطيكم  
 ١٣. إلى بلدة حقت بكل مسرة  
 ١٤. إلى بلدة معمورة حول سُورها  
 ١٥. إلى بلدة تحكي الجنان وروحها  
 ١٦. إلى بلدة فيها هواي ومنيتي  
 ١٧. ألتوا بها مُستسعدين وأقبلوا  
 ١٨. متى قادكم إقبالكم بلقائه  
 ١٩. قفوا عنده مُستأنسين وتلغوا  
 ٢٠. وقصّوا له همي وكربي وأوعتي  
 ٢١. وكنرة ألامي وقلّة حيلتي  
 ٢٢. وقولوا له: يا صاح يا غايّة المنى  
 ٢٣. أمّن طول أتايم الفراق نسيّتي  
 ٢٤. أم اخترت غيري من محبيك مؤثرا  
 ٢٥. نسيّت عهداً بيننا ونقضتّها  
 ٢٦. فوالله لأنسى ليالي قد مضت  
 ٢٧. ليالي فيها عشت عندك في الحمى  
 ٢٨. ليالي من همّ الصباح وهوليه  
 ٢٩. ليالي عشنا في سُرور وبهجة
- فما بالكم لا ترحموني بكائيا  
 عليلاً كئيباً في دجى الليل باكيا  
 من الهَمّ بل ضاقت عليّ ذراعيها  
 ولا عن يميني لو نظرت شماليا  
 ومثّ فممن يطلبون بثاريا؟  
 وتبغون من داء المُبيد شغائيا  
 إلى كعبة الآمال دار الأمانيا  
 إلى بلدة أضحت من الهَمّ خاليا  
 يطوف كطير مُستهمّ فؤاديا  
 هنياً لمن فيها من العيش راضيا  
 إلى بلدة فيها حبيبي ثاويا  
 إلى باب بيت العزّ دار مراميا  
 وقرّتم بما أهوى من الله راجيا  
 إليه سلامي ثمّ بُثوا غراميا  
 وشدّة أسقامي وطول عنائيا  
 وطول مُقاساة النوى واصطباريا  
 وقاك إله العالمين اللدواهيا  
 وحاشاك أن تنسى محباً مُوافيا  
 وحاشاك أن تعاضني بسوائيا  
 فياويح نفسي ما حسبتك ناسيا  
 وكنت بهيجاً من لقاءك مُباهيا  
 وبثت عن القلب المتيم حاكيا  
 سهرت رقيباً للنجوم مُراعيا  
 ورحب وأمن لانخاف الأعاديا

٣٠. أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ يَجُودُ زَمَانُنَا  
 ٣١. وَهَلْ يُرْتَجَى فِي الدَّهْرِ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ  
 ٣٢. وَهَلْ يُلْتَقَى حَيْثُ مِنَ الدَّهْرِ عَاجِلًا  
 ٣٣. مَضَى الْعَمْرُ فِي ضَرٍّ مِنَ الْعَيْشِ وَانْقَضَى  
 ٣٤. تَصَرَّمَ فِي ضَرٍّ وَهَفِيفٍ وَمَا مَضَى  
 ٣٥. إِلَى اللَّهِ أَشْكُو عَيْشَةً مُشْمَتَةً  
 ٣٦. إِلَى اللَّهِ أَشْكُو لَيْلَةً مُدْهِمَةً  
 ٣٧. إِلَى اللَّهِ أَشْكُو مِنْ هَمٍّ صَغَاؤُهَا  
 ٣٨. مِنْ اللَّهِ أَرْجُو كَشْفَ ضَرْبِي وَكُرْبِي  
 ٣٩. سَأَمْتُ حَبِيبِي مِنْ أُنْبِيٍّ وَرَتْنِي  
 ٤٠. فَرَفَقًا بِمَلْهَوْفٍ يَلْحُجُّ اسْتِغَاثَةً  
 ٤١. أَطْلُكُ وَأَطْبَبُكَ الْمَقَالَ وَلَا يَنْفِي  
 ٤٢. خَتَمْتُكَ عَنِ الشُّكُورِيِّ لِسَانِي وَبَعْدَهُ  
 ب ٤٣. بَقِيَتْ رَغِيدَ الْعَيْشِ مَا دَامَتِ السَّمَاءُ  
 ٤٤. وَمَا صَاحَ حَادٍ بِالْمَطِيئَةِ نَاشِدًا  
 ٤٥. عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ السَّلَامُ وَبَعْدَهُ
- عَلَيْنَا بَلِيلٌ مِثْلُ تَلِكِ اللَّيَالِيَا  
 أَرَاكَ عَلَيَّ مَا أَشْتَهِي وَتَرَانِيَا  
 نَرَى مَا نَرَى فِي عَهْدِنَا فِيهِ مَاضِيَا  
 وَمَا الدَّهْرُ إِلَّا بِاخْتِلَافِ عَمْرَامِيَا  
 يَنْبِيئُ عَنِ بَاقِيهِ لَوْ كَانَ بَاقِيَا  
 يَرَى الْمَرْءُ مَا يَرْجُو مَدَى الدَّهْرِ نَائِيَا  
 عَلَى الْعَيْنِ أَرْخَحْتُ مِنْ دُجَاهَا عَوَاشِيَا  
 تُحَاكِي الْجِبَالَ الشَّامِخَاتِ الرَّوَاسِيَا  
 فَلَا حَيْبَ لِلَّهِ الْمَجِيبِ رَجَائِيَا  
 وَإِصْفَاءِ آلَامِي وَطَوْلِ مَقَالِيَا  
 وَعَفْوًا عَنِ الْمَضْطَرِّ يُطِنُّ شَاكِيَا  
 بِتَشْرِيحِ مَا فِي الْقَلْبِ بَسْطُ لِسَانِيَا  
 خَتَمْتُكَ كَلَامِي مُسْتَعِيثًا وَدَاعِيَا  
 وَأُتْرُوتُ بِإِسْجَالِ الْعَوَادِي الصَّوَادِيَا  
 وَسَاقِ الْمَطَايَا رَاكِبُ الْعَيْسِ حَادِيَا  
 عَلَيْكَ سَلَامِي دَائِمًا مُتَوَالِيَا

## الملحق الثاني

### قصيدة الطبيب الأصفهاني

- أ ١. تَنَاءَيْتَ عَنِّي يَا خَلِيلِي غَاوِيَا  
 ٢. أَسَاءُ الْهَوَى رَامُوا عِلَاجِي وَعَالَجُوا  
 ٣. دَوَائِي وَدَائِي مِنْكَ يَا صَاحِ فِي الْوَرَى  
 ٤. مِنْ اللَّهِ أَرْجُو عَوْدَ وَصْلِكَ عَاجِلًا
- وَعَادَرْتِ نَارًا تَلْتَطِّي فِي فَوَادِيَا  
 بِكَلِّ مَدَاوَاةٍ، وَمَا بِي كَمَا بِيَا  
 فَرَاقُكَ دَائِي وَالْوَصَالَ دَوَائِيَا  
 وَأَسْأَلُهُ أَنْ لَا يَخْتِيبَ رَاجِيَا

٥. أتاني كتاب منك والبين قد جفا  
ب ٦. كتاب غدا في الفيض يحكي عن الحيا  
٧. فعظّمته لمتا رأيتُ ختامه  
٨. فياحبّذا نثرٌ يكادُ سياؤه  
٩. ويا لك من نظم يصير بحسنه  
١٠. كفى نظمٌ قيسٍ عند ذي الطبع شاهداً  
١١. ألا ليت شعري! هل تجود بمثله  
١٢. أو الدهرُ لا ينسى العداوة والأذى  
١٣. غلّطت فما في الناس مثلك مُوفيا  
ج ١٤. بقيت تعيش في أمان وصحة
- على القلب حتى كاد يصبح فانيا  
فأحيا فؤاداً رسمه صار عافيا  
وقبائثه ثم استعدتُ مُباهيا  
يكونُ عن الإلهام والوحي حاكيا  
لنظم كبيدٍ بل زهير مباريا  
بأنّ له الدعوى ومنك القوافيا  
على من غدا في الهجر يرجوه ثانيا؟  
وتجعلك الأيام للعهد ناسيا؟  
كما ليس مثلي في السورى لك داعيا  
وكسب عُلا ما أصبح النظم باقيا

## المصادر

## الف) عربي

## كتب

- حريجي، فيروز (١٩٦٥م)، دراسة وجيزة حول أشعار هاتف العربية، ط١، طهران: مكتبة طهوري.
- حسن، عبدالكريم (١٩٨٣م)، الموضوعية النبوية: دراسة في شعر السيّاب، ط١، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر.
- \_\_\_\_\_، \_\_\_\_\_ (٢٠٠٦م)، المنهج الموضوعي: نظرية وتطبيق، ط٣، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر.
- الزنوزي، محمدحسن (لاتاريخ)، بحرالعلوم، لا ناسخ، طهران: مكتبة مجلس الشورى الإسلامي، ٢١٨٦، ٢٧٢ ورقة، ٤١×٢٦/٥، ٤٥ سطرًا.
- \_\_\_\_\_، \_\_\_\_\_ (لاتاريخ)، الكشكول، الناسخ المؤلف، طهران: مكتبة مجلس الشورى الإسلامي، ٧٧٢٧، ٣٢١ ورقة، ٣٢×٢٢، مختلفة السطور.

مُرَاسِلَةُ شَعْرِيَّةِ بَيْنِ الطَّبِيبِ الْأَصْفَهَانِيِّ وَهَاتِفِ الْأَصْفَهَانِيِّ... حسين مرعشي

\_\_\_\_\_، \_\_\_\_\_ (١٤٣٢ق)، رياض الجنة، تحقيق علي رفيعي علامرؤدشتي وإشراف السيد محمود المرعشي النجفي، ط ١، قم: مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي الكبرى.

المجموعة المخطوطة المصوّرة ١٥٠/٤ (١٢٤٣ق)، لا ناسخ، قم: مركز إحياء التراث الإسلامي، ٧٣ صفحة، ١١/٥×٢٢ سم، مختلفة السطور.

المجموعة المخطوطة ٨٣٧٣/٤ (بين ١٢٢٢ و ١٢٢٨ق)، الناسخ: عبدالواسع بن محمد هادي القاري، قم: مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، ١٦٩ ورقة، ١٣×٢٢ سم، مختلفة السطور.

مرعشي، حسين (٢٠١٢م)، الشعر العربي الديني بإيران منذ العصر الصفوي الثاني حتى عصر القاجار، أطروحة دكتوراه في الآداب (اللغة العربية وآدابها)، بيروت: جامعة القديس يوسف، معهد الآداب الشرقية.

#### مقالات

مرعشي، حسين؛ (١٤٣٣ق)، «الطبيب الأصفهاني ومدحيته في المهدي المنتظر (عج)»، الأدب العربي، طهران: جامعة طهران، من ١٩٣ إلى ٢١٩.

#### ب) فارسي

خاتمي، أحمد (١٣٧٣ش)، تاريخ ادبيات ايران در دوره بازگشت ادبي: از سقوط صفويه تا استقرار مشروطه، چاپ يكم، تهران: پايا.

الدُّبَلِيُّ، عبدالرزاق (١٣٤٩ش)، تجربة الأحرار و تسليية الأبرار، تصحيح: حسن قاضي طباطبائي، چاپ يكم، تبريز: مؤسسه تاريخ و فرهنگ ايران، جلد اول.

فرصت الدوله شيرازي، محمدنصير (١٣٦٢ش)، آثار عجم، چاپ يكم، تهران: بامداد.

هاتف، احمد حسيني (١٣٤٩ش)، ديوان، گردآوری و تصحيح: وحيد دستجردي، چاپ ششم، تهران: كتابفروشي فروغی.

## نامه نگاری شعری بین طبیب اصفهانی و هاتف اصفهانی

### مناسبت، موضوعات، و سبک شناسی آن

سید حسین مرعشی\*

استادیار گروه زبان و ادبیات عربی دانشگاه شیراز

#### چکیده

اخوانیات از جمله اشعار رایج در دوره زندی به شمار می آید. از مشهورترین نمونه های شعر اخوانی مراسلات شعری است که بین طبیب اصفهانی و هاتف اصفهانی وجود داشته است. از مجموع اشعار عربی ای که طبیب اصفهانی از شیراز برای هاتف در اصفهان ارسال کرده، سه قصیده بر جای مانده، این در حالی است که از قصیده های ارسالی هاتف برای طبیب تنها یک قصیده بر جای مانده است. در تحقیق حاضر، این قصیده، و قصیده طبیب که در جواب آن سروده شده، بررسی شده اند. در این پژوهش، به موضوعاتی همچون مناسبت سرودن دو قصیده، اغراض و چگونگی ترتیب آنها، موضوعات، و محورهای دو قصیده پرداخته شده است. بررسی ویژگی های سبکی این اشعار نیز از دیگر بخش های مقاله حاضر است. با توجه به تنوع این موضوعات، از سه روش نقدی مختلف استفاده شد که عبارتند از: روش تاریخی، روش موضوعی که اساس آن واژگان پرکاربرد در متن است، و روش ساخت صوری. از نتایج مهم این تحقیق می توان به ضعف نسبی هاتف اصفهانی در زبان عربی و ظرافت های آن اشاره کرد. علاوه بر آن، در این تحقیق، نخستین بار، ابیات عربی جدیدی از هاتف ارائه شد.

**کلیدواژه ها:** ایران؛ عصر زندی؛ اخوانیات؛ طبیب اصفهانی؛ هاتف اصفهانی.